

الغاية العظيمة للصوم



شهر رمضان شهر القيام وهو القيام للصلاة في الليل والتهجد فيه، فيما سنّه الإسلام في ليالي رمضان من ذلك كلاًه، حتى ورد استحباب صلاة ألف ركعة في لياليه زيادةً على النوافل المستحبّة، حيث تتوزّع على ليالي الشهر في ترتيب معين.. وهذا الشهر مميّزاً من هذه الجهة بالطريقة التي تكون ذات طابع عبادي تهجّدي الذي يمنح التخطيط الروحي لبناء الشخصية الإسلامية فيه، بـُعداً واسعاً متنوعاً في ما تتمارح فيه العناصر العبادية في الليل والنهار، لتحقيق النتائج المطلوبة منه في أكثر من موقع.

(شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ) (البقرة / 185). نعم نزول القرآن في هذا الشهر الفضيل ليكون هذا الحدث العظيم الذي انطلقت من خلاله حركة الإسلام الفكرية في خط المنهج والشريعة والمفهوم التي وضّع الوحي القرآني قواعدها وأصولها، وحدّد مفرداتها وأوضاعها، عنواناً للقيمة الإسلامية لهذا الشهر، في ما يكتسب الزمن من قيمة كبيرة من خلال الأحداث الواقعية فيه.

وقد أراد الإسلام أن يؤكد ذلك، فدعا إلى تلاوة القرآن بشكل واسع في هذا الشهر، حتى جعل تلاوة كتاب

□ فيه مساوية لصيامه، كما جاء في الخطبة المروية عن رسول □ في استقبال شهر رمضان: "فاسألوا □ بنياتٍ صادقةٍ وقلوبٍ طاهرةٍ أن يوفّقكم لصيامه وتلاوة كتابه".

وإذا كان القرآن قد نزل في هذا الشهر المبارك، فلا بدّ للناس من أن ينفثوا عليه من خلال الهدى الذي تنضمّنه آياته، ومن خلال البينات التي تثبتّ للإنسان خطوط الهدى التي تدلّ على مواقع النجاة، وتعرّفه كيف يميّز بين الحقّ والباطل في ما يتعرّف عليه من الفواصل التي تفصل بينهما، فلا بدّ من أن تكون التلاوة في هذا الاتجاه..

وفي دعاء للإمام زين العابدين (ع): "فأبان فضيلتهُ على سائر الشهور بما جعلَ له من الحرّماتِ الموفورةِ والفضائلِ المشهورِ، فحرّم فيه ما أحلّ في غيره إعظاماً، وحجّرَ فيه لمطاعمَ والمشاربِ إكراماً، وجعلَ له وقتاً بيّناً لا يجيزُ جلّ وعزّ أن يُقدّم قبله ولا يقبلُ أن يُؤخّر عنه...".

وهذه ميزة من ميزات شهر رمضان على سائر الشهور، فقد جعل □ له من الحرّمات الكاملة التي توجي بقداسته في ما يلتزمه الناس من حدود □ فيه، ومن الفضائل المشهورة في ما جعل له من الخصائص الروحية والعملية، ما يوجي فيه بالخير والفضل الكبيرين على مستوى النتائج الكبيرة التي يبلغها العاملون فيه في علوّ الدرجة عند □. وهكذا حرّم □ فيه المآكل والمشارب واللذات التي لم يحرمها في غيره من الشهور، كإيحاءٍ بعظمته من خلال ما يستهدفه هذا التحريم من غايات عظيمة على مستوى مصير الإنسان في الدنيا والآخرة، وكمظهر من مظاهر الإكرام له في ما أراد □ للناس أن يتعبّدوا له بذلك، ليكون الالتزام بترك المطاعم والمشارب عبادةً يتقرّبون بها إليه، كما يتقرّبون بالعبادة إليه، وحدّ له وقتاً معيّنًا، لا يتسع للتقديم وللتأخير في المساحات الزمنية الأخرى، لأنّ □ أراد للزمن العملي أن يخضع للنظام العام الذي يريده □ للحياة في التزام الناس به وخضوعهم له، حتى يتعرّف الناس في علامات الزمن، إلى علامات الطريق إلى □.

وهكذا يتكرّر فرض الصوم في كلّ عام، فيبعث من جديد في شعور الأمّة الذكرى المقدّسة حيّة مرة أخرى وكأنّ ليالي القدر في كلّ عام محطات سنوية تتزوّد منها البشرية طاقتها لعام جديد مما يُحيي فيها العزم والثبات، ويذكّرُها بأعظم نعمة.